نُزُول القُرآن الكَرِيم وَتاريخُهُ وَمَا يَتعَلّقُ به

إعداد

د. محمّد عمر حويّه

مُدير مركز الدّراسات القُرآنية
بمجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف
بالمدينة المنوّرة

خطة البحث

(أ) من مقتضيا ت النزول .

(ب) التعريف بالقرآن الكريم، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ وقد تحدى القرآن الكريم بأساليب متنوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصْرفوا عنه، ورد قول من قال بالصرفة .

(ج) التعريف بعلوم القرآن الكريم فناً مستقلاً، ومتى ظهر هذا الاصطلاح؟

(د) نزول القرآن الكريم .

١ – متى بدأ النزول، وكم كانت مدة النزول؟

٢ – ما المراد بالنزول، وكيف كان يتلقى جبريل الوحي من الله؟

٣ – وكم نزولا للقرآن؟

٤ – كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام؟

٥ – هل نزل شيء من القرآن على النبي ﷺ إلهاماً أو مناماً؟

٦ – نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا .

٧ – نزول القرآن مفرقاً .

٨ – حكم التدرج في النزول .

٩ – نزول القرآن على سبعة أحرف .

أ – أرجح الأقوال في معناها .

ب – الحكمة في كونه نزل على سبعة أحرف .

١٠ – أسباب النزول .

أ – تعريف السبب .

ب – العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

١١ – أول ما نزل من القرآن الكريم .

أ – أوائل مطلقة .

ب – أوائل مقيدة .

١٢ – آخر ما نزل من القرآن الكريم .

أ – أواخر مطلقة .

ب – أواخر مقيدة .

١٣ – ما يترتب على معرفة أول ما نزل، وآخر ما نزل من الأحكام والفوائد .

١٤ – الخاتمة وفيها بعض النتائج التي توصل إِليها الباحث، واقتراح يقترحه .

١٥ – فهرس المراجع .

١٦ – فهرس الموضوعات .

المقدمة:
من مقتضيات النزول

إن ما يسمى بعلوم القرآن الكريم مندرج تحت نزول القرآن الكريم ولازم له، وعليه فلابد من الإلمام في الأسطر التالية بالأمور التالية إجمالاً من غير تفصيل في الدقائق، فذلك شأن الموضوعات الخاصة بالنزول الذي هو موضوع البحث.

اعلم أن الأمة اعتنت بنص القرآن الكريم وحفظه، وعلى رأس الأمة نبينا محمد ﷺ فقد بلغ من عنايته بالقرآن الكريم وحرصه على حفظه أن كان يعاجل جبريل حين يقرئه القرآن حتى أنزل الله عليه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة: ١٦-١٩) وأنزل عليه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩) فعندئذ اطمأن الرسول ﷺ على القرآن وكان جبريل يعارض الرسول ﷺ القرآن في كلّ سنة، وعارضه القرآن في سنته التي توفي فيها مرتين. وكان صلى الله عليه وسلم يعتني بكتابة القرآن الكريم فكان له كتبة يكتبون القرآن الكريم، يقول لهم: ضعوا آية كذا في مكان كذا من السورة كذا، وكتب القرآن كله في حياته ﷺ في الرقاع واللخاف بإقراره ﷺ. ومما يدل على عناية المسلمين بالقرآن الكريم أنه حفظه منهم في عهد النبي ﷺ عدد لا بأس به، ثم تتابع

الحفظ بعد ذلك حتى قيل إنه قتل يوم بئر معونة سبعون من القراء.

ومن مظاهر العناية: به أنه لما استحرّ القتل في الحفظة عمد أبو بكر إلى جمعه في مكان واحد في الصحف، واحتاط لذلك الجمع، حيث ألف نخبة من الحفظة، على رأسهم زيد بن ثابت، الذي كان كاتب الوحي في حياة النبي ﷺ، وقد كان أمير المؤمنين أبو بكر الصديق موفقاً في هذا الجمع، ثم بعد هذا الجمع ظلت الصحف عند أمير المؤمنين أبي بكر في خلافته ثم بعد وفاته انتقلت إلى أمير المؤمنين عمر، ثم بعد وفاته كانت عند حفصة رضي الله عنها حتى كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان فحصل في زمن عثمان اختلاف بين القراء في الأمصار، فكان من توفيق الله أن جمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان الصحابة، وعرض عليهم اختلاف القراء في الأمصار وفي المدينة، وكان رأيه أن يجمع القرآن في مصحف واحد، فوافقه الصحابة بالإجماع على ذلك، فأرسل إلى حفصة وأخذ منها الصحف، وجمع القرآن في مصحف واحد ووزعه على الأمصار، فكان بذلك موفقاً حيث أدرك الناس قبل أن يختلفوا.

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند المسلمين: أنهم حرروا القراءات وفرقوا بين المتواتر والشاذ، وجعلوا قواعد لا يثبت القرآن إلا بها وهي:

أولاً: الإسناد المتصل للقراءة في كل طبقة.

ثانياً: موافقة القراءة لوجه نحوي.

ثالثاً: أن يحتملها الرسم العثماني.

وكل قراءة لا تتوفر فيها هذه الشروط، عدَّها العلماء شاذة ولا تسمى قرآناً، ولا تجوز القراءة بها[١].

فكل ما وافق وجه نحـــو   وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسناداً هو القـــرآن   فهذه الثلاثة الأركـــان

وحيث مايختلّ ركن أثبت   شذوذه لو أنه في السبعة

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند هذه الأمة: أنه لابد فيه من التلقي مشافهة، تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام شفاهاً، وتلقاه الصحابة الأثبات العدول من النبي ﷺ، ثم تلقاه التابعون الأخيار من الصحابة كذلك، ثم تلقاه أتباع التابعين من التابعين كذلك، إلى أن وصل إلينا غضّاً طرياً كما أنزل، فالقراءة سنة متبعة لا مدخل للقياس فيها، والاعتماد فيها على التلقي والتواتر.

وقد اعتنى المسلمون بالقرآن عناية فائقة، حيث ألَّفوا في كل جزء منه، فرقوا بين مكيه ومدنيه، وعرَّفوا مَكيه بأنه ما نزل قبل الهجرة، كما عرفوا المَدَني بأنه ما نزل بعد الهجرة، هذا التعريف المختار، ومع تعريف المكي والمدني، فقد جمعوا المكي، وميزوه دون المدني، وكل ذلك عناية بالقرآن الكريم.

كما اعتنوا بسور القرآن الكريم وآياته، وذكروا أن ترتيب الآيات

---

(١) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ /٧ .

توقيفي من النبي ﷺ كما هو الآن، وأما ترتيب السور ففيه خلاف بينهم[1]، كما ألفوا في أسماء السور، وعدد الآيات.

ومن هذه العناية الدقيقة: اعتناؤهم برسمه الذي رسم به في زمن النبي ﷺ وبإقراره، وأجْمَعَ عليه الصحابة بعد ذلك في زمن عثمان، وذهب الكثير من العلماء إلى أن رسم القرآن توقيفي لا تجوز مخالفته، حتى إن بعضهم كان يرى أن تكتب الكتابات الأخرى كما كتب القرآن على رسمه وعلى نمطه.

وخلاصة القول أن العلماء لم يتركوا شيئاً يتعلق بالقرآن الكريم إلا وكتبوا فيه مثل نَاسخه ومنسوخه، وأقسامه، ومطلقه ومجمله، ولما كان هذا البحث الذي كلفنا بالكتابة فيه، تحت عنوان "نزول القرآن" اخترنا الكتابة فيما له صلة وثيقة بالنزول.

(١) تناسق الدرر في تناسب السور ١/٥٦ .

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، وقد تحدى القرآنُ بأساليب منوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصْرفوا عنه، والردّ على من قال بالصرفة.

اعلم أن تعريف القرآن الكريم: هو كلام الله المنزّل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، وقد عرفه صاحب المراقي في ألفيته بقوله [١]:

لفظ منزّل على محمّد — لأجل الاعجاز وللتعبد [٢]

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته[٣] فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة؛

---

(١) ١/٩٧، تحقيق د/ مختار محمد الأمين.

(٢) (القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) شرح العقيدة الطحاوية (طبع مؤسسة الرسالة) ١/١٧٢ اللجنة العلمية.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص٢٠-٢١.

لأن المعجزات على ضربين: الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ. والثاني: ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبي ﷺ، قال القرطبي [1]: "لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام، المعلوم وجوده بالضرورة وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل، فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به، فالقرآن معجزة نبينا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة، مع أن معجزة كل نبي انقرضت بانقراضه أو دخلها التبديل كالتوراة والإنجيل، فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت: إن النبي ﷺ تقوّله أنزل الله تحدياً لهم قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص ٧٢ .

﴿ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور : ٣٣-٣٤) ثم تحدّاهم وأنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ (هود : ١٣) . فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار إلى مثل سورة من السور القصار فقال جل ذكره : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة : ٢٣) . فأفحموا عن الجواب وتقطعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعناد وآثروا سبي الحريم والأولاد، ولو قدروا على المعارضة لكان أهون كثيراً وأبلغ في الحجة وأشد تأثيراً مع كونهم أرباب البلاغة وعنهم تؤخذ الفصاحة" .

واعلم أن القرآن نفسه هو المعجز بألفاظه ومعانيه؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، وما قاله النظام ومن على شاكلته من أن وجه الإعجاز في القرآن هو أنهم منعوا منه وصرفوا عنه قول فاسد؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع .

هذا وقد ذكر العلماء أوجهاً كثيرة للإعجاز نلخص منها ما يأتي بإيجاز :

١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال ربّ العزة الذي تولى نظمه : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ (يسٓ : ٦٩) . وفي صحيح مسلم :

أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحرٌ وكان أنيس أحد الشعراء. قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر[1] فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون[2].

٢- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

٣- الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال[3]، قال القرطبي: وتأمل ذلك في سورة قٓ والقرآن المجيد إلى آخرها وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الزمر: ٦٧) إلى آخر السورة، وكذا قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (إبراهيم: ٤٢) إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ (غافر: ١٦) ولا أن يقول: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ (الرعد: ١٣).

٤- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف

(١) أقراء الشعر: أنواعه وطرقه وبحوره وأنحاؤه.

(٢) مسلم رقم ٢٤٧٣، البخاري رقم ٣٥٢٢، أحمد رقم ٢١٠١٥.

(٣) انظر: البرهان ٢/٢١٨-٢٥١ الإتقان ٤/٣-٢٣، المحرر الوجيز ١/٣٨، النكت في إعجاز القرآن ١٠٣، ١٠٤.

مَوْضعه.

٥- الإِخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إِلى وقت نزوله، من أمّي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، مع أنه أخذ بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحدوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين.

٦- الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إِلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإِخراج الذين أخرجوه من وطنه وإِلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطلاق: ٣) وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن: ١١).

٧- الإِخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إِلا بالوحي، فمن ذلك ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (التوبة: ٣٣) ففعل ذلك، وكان أبو بكر إِذا أغزى جيوشه عرَّفهم ما وعدهم الله في إِظهار دينه ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً.

٨- ما تضمنه القرآن الكريم من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في

الحلال والحرام وسائر الأحكام.

٩- التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

١٠- الحكم الكثيرة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدميّ.

التعريف بعلوم القرآن فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح

هو علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابته وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم[(١)]، وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول العلوم التي لابد للمفسر منها[(٢)].

وأول ظهور هذا المصطلح لعلوم القرآن فناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى ٤٣٠هـ في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، ثم تبعه ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في كتابه "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن"، ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ بكتاب واف سماه "البرهان في علوم القرآن" ثم جاء البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ فألف كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم"، ثم جاء خاتمة الحفاظ وفارس الميدان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بكتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وصار الناس بعده عيالاً عليه، كلٌ يأخذ منه، والبعض يلخص والبعض يختصر.

---

(١) المدخل ١/ ٢٥ وما بعدها.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١/ ١٦.

وقد نشط التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث مثل كتاب مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن، (والنبأ العظيم) للدكتور محمد عبدالله دراز، وكتاب الشيخ طاهر الجزائري (التبيان في علوم القرآن)، وكتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، وكتاب (المدخل في علوم القرآن) لشيخنا الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله، وكتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان رحمه الله، إلى غير ذلك من التآليف الكثيرة في هذا العصر.

متى بدأ النزول وكم كانت مدة النزول؟

إن بحث نزول القرآن وتاريخ نزوله، لمن أهم المباحث؛ إذ به تعرف تنزلات القرآن الكريم، ومتى نزل، وكيف نزل، وعلى من نزل وكيف كان يتلقاه جبريل من الله تبارك وتعالى؟ ولا شك أن العلم بذلك يتوقف على كمال الإيمان، بأن القرآن من عند الله، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، كما أن كثيراً من المباحث التي تذكر في هذا الفن يتوقف على العلم بنزوله، فهو كالأصل بالنسبة لغيره.

أنزل الله القرآن الكريم على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان نزوله حدثاً جللاً مؤذناً بمكانة النبي ﷺ عند أهل السماء والأرض.

فإنزاله الأول في ليلة القدر نبه العالم العلوي على شرف هذه الأمة، وأنها القائدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فقد مدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأنه اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم فيه، قال ابن كثير(١): "وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء".

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٠٩.

قال الإمام أحمد بن حنبل[1] -رحمه الله-: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة -يعني ابن الأسقع- أن رسول الله ﷺ قال: "أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان".

وقد روى من حديث جابر بن عبدالله وفيه أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثماني عشرة والباقي كَمَا تقدم. رواه ابن مردويه[2].

أما الصحف والتوراة والزبور والإنجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة، وأما القرآن فكان نزوله الأول جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، كما تدل عليه الآيات: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ...﴾ (البقرة: ١٨٥) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ (الدخان: ٣).

أما تاريخ نزول القرآن منجماً وهو النزول الثاني، فقد كان بعد الأربعين من عمره ﷺ حينما بعث في يوم الاثنين وكان أول ما نزل عليه صدر سورة اقرأ كما ذكر ذلك محققو أهل العلم من أهل التفسير والحديث والسير، قال العلامة الفاسي في نظمه "قرة الأبصار في سيرة

---

(١) المسند ٤/١٠٧، الطبراني في الكبير ٢٢/٧٥، والبيهقي في شعب الإيمان: ٢/٤١٤.

(٢) ابن كثير ١/٢١٧، قال: رواه ابن مردويه.

المشفّع المختار"(١):

بيان مبعث النبي الهـــادي	صلى عليه خالق العبــــاد
وجاءه جبريل في غار حـــرا	من بعد أربعين عاما غبـــرا
في يوم الاثنين بسورة العلق	صلى عليه الله فالـق الفـلـق
فقام يدعو الإنس والجن إلى	توحيد ربِّ العالمين مرســـلا
مؤيّداً منه بما أعْيا البشــر	إحصاءه من معجزات كالمطر
نفعاً وكثرة وكالســــــراج	نورا ورفعة مع ابتهـــــــاجِ
ومع ذا حاصره الفجّـــــار	كما أتت بذلك الأخبـــار
وكان قادرا على التدميـــر	لو شاء لكن جاد بالتأخيـــر
حتى هدى الله به من شـاء	منهم ومن أصلابهم أبنـــاء
ثم أعز دينه ونصـــــــره	وأيّد الحق به وأظهـــــــره

قال في الإتقان(٢):

"أما إنزاله الثاني مفرقاً على حسب الوقائع خلافاً لما كان معهوداً عندهم في الكتب السابقة فقد أثار الضجة عند القوم حتى حملهم على المحادّة والمساءلة حتى ظهر لهم الحق فيما بعد من أسرار الحكم الإلهية في إنزاله مُنَجَّماً على حسب الوقائع حتى أكمل الله الدين".

هذا وقد يظن البعض أن الآيات من قوله: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ

(١) مخطوطة، منظومة في السيرة ص ٣.

(٢) ١/ ١١٦.

﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾(البقرة: ١٨٥) الآية، وقوله: ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾(الدخان: ١-٣) الآية، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر: ١). بينها تعارض، والواقع أنه لا تعارض بينها، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، وإنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة الرسول ﷺ؛ لأن القرآن نزل عليه خلال ثلاث وعشرين سنة.

وقد روي من غير وجه عن ابن عباس كما قال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشك من قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وقد أنزل في شوال وذي القعدة وفي ذي الحجة والمحرم، وصفر وشهر ربيع.

المذهب الأول: فقال ابن عباس وجمهور العلماء: إن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث، نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، تعظيماً لشأنه عند الملائكة، ثم أنزل بعد ذلك منجماً على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام في ثلاث وعشرين سنة، حسب الوقائع والأحداث منذ بعثه ﷺ إلى أن توفي حيث أقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات، منها:

١- عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا[١] ليلة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢ / ٢٤٢ رقم ٢٨٧٨، والبيهقي ٤ / ٣٠٦ .

القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣). وقوله: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ (الإسراء: ١٠٦).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه إثر بعض[1].

٤- وعنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوماً "رواه الطبراني".

المذهب الثاني: هو المروي عن الشعبي أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ، فقد ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجاً مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة.

قال: فليس للقرآن إلا نزول واحد هو نزوله منجماً على رسول الله ﷺ؛ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢ / ٢٤١ وصححه ووافقه الذهبي وابن الملقن وصححه أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح ٨ / ٦٢٠ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣ / ١٣١ .

ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾ (الاسراء: ١٠٦)، ولهذا جادل فيه المشركون لكون الكتب السماوية نقل إليهم نزولها جملة، واحدة قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٢–٣٣).

قال: ولا يظهر للبشرية مزية لشهر رمضان وليلة القدر التي هي الليلة المباركة إلا إذا كان المراد بالآيات الثلاث نزول القرآن على رسول الله ﷺ وهذا يوافق ما جاء في قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ (الأنفال: ٤١). وقد كانت غزوة بدر في رمضان، ويؤيد هذا ما عليه المحققون في حديث بدء الوحي.

عن عائشة قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"(١).

فالمحققون على أن رسول الله ﷺ نبئ أولاً بالرؤيا في الشهر الذي ولد فيه وهو شهر ربيع الأول، وكانت المدة بين الرؤيا والوحي إليه يقظة ستة أشهر ثم أوحي إليه يقظة بـ ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾.

قال الشيخ مناع القطان رحمه الله(٢): "وبهذا تتآزر النصوص على معنى واحدٍ".

(١) رواه البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم كتاب الإيمان ١٦٠ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ص١٠٠ وما بعدها.

المذهب الثالث: يرى أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر، في كل ليلة منها ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، وهذا القدر الذي ينزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لسنة كاملة ينزل بعد ذلك منجماً على رسول ﷺ في جميع السنة.

ولا شك أن هذا المذهب اجتهاد من بعض المفسرين؛ فليس هناك ما يدل عليه، أما المذهب الثاني فإنه لا تعارض بينه وبين المذهب الأول الذي هو مذهب ابن عباس والجمهور.

فالراجح أن القرآن الكريم له تنزّلان، كما علمت:

الأول: نزوله إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة.

وقد نقل القرطبي[1] الإجماع على هذا النزول عن مقاتل بن حيان، وممن قال بقوله: الحليمي والماوردي[2].

الثاني: نزوله من السماء الدنيا مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة.

---

(١) ٢/٢٩٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص١١٦.

الحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء

١- تفخيم أمره وأمر مَن نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم. قال السيوطي نقلاً عن أبي شامة في المرشد الوجيز: "لولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرّقاً تشريفاً للمنزل عليه"[١].

٢ - وقال السخاوي في جمال القراء: "نزوله إلى السماء الدنيا جملة تكريم لبني آدم وتعظيم لشأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم".

والقرآن بالاستقراء كان ينزل حسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وصح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة، ونزول عشر آيات من أول سورة المؤمنون جملة، كما صح نزول: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ وحدها وهي بعض آية، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ إلى آخر الآيات.

ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري[٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن، ص١٠٠ فما بعدها، المدخل في علوم القرآن ص ٥٨، فما بعدها.

(٢) رقم ٤٩٩٣ في كتاب الفضائل.

حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: "لا تزنوا": لقالوا لا ندع الزنى أبداً.

اعلم أن القرآن الكريم له وجودات ثلاثة:

١ – وجوده في اللوح المحفوظ.

٢ – وجوده في السماء الدنيا.

٣ – وجوده في الأرض، بنزوله على النبي ﷺ، ولم يقترن النزول إلا بالوجود الثاني والثالث؛ وقد دل القرآن الكريم أنه كان قبل نزوله في اللوح المحفوظ؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾ (البروج: ٢١–٢٢).

وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي قال الله عنه: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الواقعة: ٧٧–٨٠) والذي عليه جمهور المفسرين أن الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه في الأزل كل ما كان وكل ما يكون، والواجب علينا أن نؤمن به وأنه موجود ثابت، أما البحث فيما وراء ذلك فلسنا مطالبين به.

أما كيف كان جبريل يتلقى الوحي؟ فلا يركن إلى شيء مما قيل في ذلك إلا ما أومأ له الدليل، وأولى قول في هذا المجال هو ما ذكره البيهقي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ قال: يريد والله أعلم "إنا

أسمعنا الملك وأفهمناه إيّاه وأنزلناه بما سمع، وهذا القول يشهد له ما رواه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: "إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به حيث أمر". والحديث وإن لم يكن نصاً في القرآن إلا أن الوحي يشمل وحي القرآن وغيره[1].

أما قول من قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب، لم يسمعه من الله، فهذا قول باطل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[2] وقد أخبر تعالى بأنه منزل منه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ (الأنعام: ١١٤) وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ١-٢) وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ (الأحقاف: ١-٢). فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله ﷺ من البشر والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس. وكلاهما مبلغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]: "وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل

(١) المدخل ١/٢٥٥، الإتقان ١/٤٥، مباحث في علوم القرآن ج١، ص١٠٥ وما بعدها.

(٢) الفتاوى ١٢/١٢٧ فما بعدها.

(٣) الفتاوى ١٢/٢٦٠.

ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء، كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتالين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه" .

قال الإمام السيوطي[1]: "قال الجويني: كلام الله المنزل قسمان:

أ - قسم قال الله لجبريل قل للنبي ﷺ -الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على النبي ﷺ وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة، واجمع جندك للقتال. فإن قال الرسول بقول الملك لا تتهاون في خدمته ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة.

ب - قسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول له اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً" .

قال السيوطي: "القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، وقد ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن قال: ولهذا جازت رواية السنة بالمعنى بخلاف القرآن الكريم فإنه نزل جبريل بألفاظه ومعانيه فلا تجوز روايته بالمعنى. والسر في ذلك أن القرآن

(١) الإتقان ١/١٢٨ .

يقصد التعبد بألفاظه وهو كذلك معجز فلا يمكن لأحد مَهْمَا أوتي من البلاغة والفصاحة أن يأتي بلفظ يقوم مقامه.

كما أن فيه تخفيفاً على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل". قال صاحب المدخل[1]: "وكذلك ليس للنبي ﷺ في القرآن شيء إلّا مجرَّد التبليغ فقط وهذا هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده ويؤمن به".

قال: "ولا يلتفت إلى ما زعمه بعض من يهرف بما لايعرف، أو من يفتري ويختلق من أن جبريل أوحي إليه المعنى، وأنه عبّر بهذه الألفاظ الدالة على المعاني بلغة العرب، ثم نزل على النبي ﷺ كذلك أو أن جبريل أوحى إلى النبي ﷺ المعنى وأن النبي ﷺ عبر عن هذه المعاني بلفظ من عنده. فهذا القول زعم وَخَرْصٌ لم تقم عليه أثارة من علم.

وهو خلاف ما تواتر عليه القرآن والسنة، وانعقد عليه إجماع الأمة من أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله ومن عند الله منهُ بدأ وإليه يعود".

إلى أن قال: "وهذا الزعم لا يقول به إلا جاهل استولى الجهل والغفلة عليه، أو زنديق قد يدس في الدين والعلم ما ليس منه".

ولا يغتر بوجوده في بعض الكتب الإسلامية، فأغلب الظن أنه مَدْسوسٌ على الإسلام والمسلمين. هذا وقد بلغ النبي ﷺ القرآن الكريم

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ١ / ٦٢.

من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لشيء منه ولا كتمان له، ولو كان كاتماً شيئاً [حاشاه من ذلك] لكتم تبليغ الآيات التي عوتب فيها ويكفي أن تقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾ (المائدة: ٦٧)، وقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (يونس: ١٥)، وقوله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٧).

كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل؟

١- أحياناً يأتي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صفة رجل من البشر وكان كثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي.

٢-وأحياناً يأتي ولا يراه الحاضرون، وقد يسمعون له دوياً وصلصلة كصلصلة الجرس.

ودل على هاتين الحالتين من الوحي ما رواه البخاري في صحيحه[١] بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصم عَنّي وقد وعيت منه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ..." الحديث.

هذا والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحياً جلياً[٢].

---

(١) البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم رقم ٢٣٣٣.

(٢) المدخل ١/٥٨.

نزول القرآن مفرقاً (مُنجَّماً)

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥). وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ١٠٢). ويقول تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ (الجاثية: ١-٣). وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٣). وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٧). فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله ﷺ، وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا فالمراد به نزوله منجماً، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفرقاً، والإنزال أعم[١].

فقد نزل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة على القول الراجح، وعشر بالمدينة المنورة.

ومن الأدلة على نزول القرآن مفرقاً قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى

(١) المفردات للراغب ٧٩٩، مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠.

ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ ﴾ (الإسـراء: ١٠٦). والمعنى: جـعلنا نزوله مفرقاً كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث[١].

قال الزرقاني في مناهل العرفان[٢]: "وفي تعدد النزول وأماكنه، مرة في اللوح وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ، في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن الكريم، وزيادة للإيمان؛ لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة، وصحت له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به مّما لو سجّل في سجل واحد، أو كان له وجود واحد".

(١) ابن جرير الطبري جامع البيان ٢ / ٨٤ ، فما بعدها، تفسير أبي السعود ١ / ٣١٥ .
(٢) ١ /٤٧ .

نزول الكتب السماوية الأخرى

الصحيح المشهور بين العلماء أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة ولم تنزل متفرقة، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (الفرقان: ٣٢).

فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة كما على ذلك جمهور العلماء.

ووجه الدلالة أن الله لم يكذبهم في دعواهم أن الكتب السماوية نزلت جملة واحدة – فلو كان نزول الكتب السماوية مفرقاً لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن مفرقاً منجماً؛ لأن معنى قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ هلاّ أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب، وما له أنزل على التنجيم ولم ينزل مجموعاً؟، بل بيَّن لهم الحكمة من نزول القرآن منجماً. ولو كانت الكتب السماوية نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول لهم: إن التنجيم سنة الله في الكتب التي أنزلت على الرسل كما أجاب بمثل ذلك في قولهم: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧) قال في الرد عليهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ

وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ (الفرقان : ٢٠) . فبيّن لهم أن ذلك سنن المرسلين والأنبياء[1] .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ١١٦، المدخل في علوم القرآن ١ / ٥٥، مباحث في علوم القرآن، ١ / ١٠٠ فما بعدها، ابن كثير ١ / ٣٠٩ .

الحكم التي تستفاد من نزول القرآن مفرقاً منجماً

لا شك أن في نزول القرآن منجماً –مفرقاً– على حسب الوقائع والأحداث حِكَماً وأسراراً عظيمة، كيف وذلك التنجيم ممّن أنزل القرآن وهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: ١٤). يعلم سبحانه المنهج الصالح لتربية الأمّة، المنهج الذي يجعلها أمّةً منقادة لأوامر الله، منتهية عن مساخطه.

ونلخص هنا بعض الحكم التي ذكرها العلماء والباحثون في هذا المجال:

١– الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد النبيﷺ وتطمين خاطره وقلبه. وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذه الحكمة في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٣٢). ويندرج تحت هذه الحكمة كثير.

لقد وجه رسول الله ﷺ دعوته إلى الناس فوجد منهم نفوراً شديداً وقلوباً قاسية، قابله قومه بقلوب قاسية فطرت على الأذى، وقابلوه بصنوف الأذى والشتم مع رغبته الصادقة وسعيه المشكور في إيصال الخير الذي جاء به إليهم حتى قال الله تعالى في حقه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦) فكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ فترة بعد فترة ليثبت فؤاده على الحق

ويقوي عزمه على المضي في الخير.

وقد بين الله أن سنته في أنبيائه السابقين أنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى جاءهم نصر الله، وبيَّن كذلك أن قومه ما كذبوه إلا استكباراً وعلواً، ورداً للحق، فيجد الرسول ﷺ في ذلك تسلية له، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٣). وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (الأنعام: ٣٤). وقال جلّ وعلا: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٤)، ونجد القرآن يأمره بالصبر في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

فكلما اشتد ألم رسول الله ﷺ بسبب تكذيب قومه وداخله الحزن لأذاهم، نزل القرآن دعماً وتسلية له عما يعانيه من قومه، فهدد المشركين المكذبين بأنه يعلم أحوالهم وسيجازيهم بما يستحقون، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (سورة يسٓ: ٧٦)، وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة: ٦٧). وقال: ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح: ٣)، وقال: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (المجادلة: ٢١).

وأحياناً تنزل الآيات بوعيد المكذبين للأنبياء كما قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن

يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٧- ٩٨).

وآونة تنزل الآية بالبراهين والحجج الدامغة في الرد عليهم فيما يتمسكون به من شبه واهية، كالآيات الواردة في إثبات توحيده وصفاته، واستحقاقه للعبادة وإثبات البعث والحشر، وكان من ثمرة هذا التثبيت أن أبدى النبي ﷺ غاية الثبات والشجاعة والوثوق بالله في أحرج المواقف وأشدها هولاً. انظر إلى قوله للصديق في الغار: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠).

وهكذا كانت آيات القرآن تنزل على رسول الله ﷺ تباعاً تسلية له بعد تسلية، وعزاء حتى لا يأخذ منه الحزن مَأخذه، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلا.

٢ ـ من الحكم البارزة: تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه على النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على ذلك غاية الحرص، حتى إنه كان يعاجل جبريل ولا ينتظره حتى يفرغ حتى أنزل الله: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طـه: ١١٤). وقال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة: ١٦- ١٩).

هذا وإن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف الكتابة ولا القراءة وكانت ذاكرتها وحفظها هما السجلُّ لها، لا دراية لها بالكتابة حتى تكتب وتدون ثم تحفظ، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢). وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فلو نزل القرآن جملة واحدة على هذه الأمة الأمية التي لا تعرف الكتابة ولا التدوين لم يصح لها أن تحفظ القرآن كله بيسر، وكان نزوله مفرقاً أكبر عون لها على حفظه في صدورها وفهمها لآياته.

كلما نزلت الآية فهمها الصحابة، وتدبروا معانيها، وقد كان هذا منهجاً لحفظ القرآن في عهد التابعين.

عن أبي نضرة قال: "كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي، ونجد أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات". أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعن خالد بن دينار قال: "قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً" أخرجه البيهقي(١).

٣- من الحكم كذلك: التدرج في تربية الأمة دينياً وخلقياً واجتماعياً وعقيدة وعلماً وعملاً، وهذه الحكمة أشار إليها القرآن في قوله: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء: ١٠٦).

لقد تدرج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة

---

(١) الإتقان ١/ ١١٦ وما بعدها. مباحث في علوم القرآن ١/ ١٠٠ فما بعدها.

والمنكرات الماحقة، فقد بعث النبي ﷺ إلى قوم يعبدون الأصنام ويشركون بالله، ويسفكون الدماء، ويئدون البنات ويشربون الخمر ويقتلون النفس لأتفه الأسباب، ويفعلون القبائح، ومعلوم أن النفس يشق عليها ترك ما ألفته وتعودته مرة واحدة كما يصعب رجوعها وإقلاعها عما اعتقدته بمجرد النهي عنه. فللعقائد والعادات سلطان على النفوس، والناس أسراء ما ألفوا ونشأوا عليه، فلو أن القرآن نزل جملة واحدة، وطالب بالتخلي عما هم منغمسون فيه من الكفر والجهل والمنكرات مرة واحدة لما استجاب إليه أحد.

لذلك اقتضت حكمة الله أن يتدرج القرآن في انتزاع العقائد الفاسدة فينهى أولاً عن عبادة غير الله، فإذا ما أقلعوا عنها أخذ في النهي عن منكر آخر، وهكذا تدرج القرآن معهم في انتزاع المنكر الواحد كما حدث في تحريم الخمر فقد نزل فيه أول ما نزل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة: ٢١٩) فشربها قوم وتركها آخرون، ثم إن بعض المسلمين صنع طعاماً ودعا أصحابه فأكلوا وشربوا ثم قام أحدهم ليصلي بهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون فخلط فيها ونقص وزاد، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النساء: ٤٣).

فكانوا بعد ذلك يتركونها عند الصلوات وفي الأوقات القريبة منها حتى لا يقعوا في مثل هذا الخلط، وبذلك صار من السهل تحريمها تحريماً

باتاً، فقد صنع بعض المسلمين طعاماً فأكلوا وشربوا حتى لعبت الخمر برؤوسهم فتناشدوا الأشعار فتشاجروا حتى شج أحدهم رأس الآخر، فقال الفاروق عمر: اللهم بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فحرمها الله بعد ذلك تحريماً باتاً حيث أنزل فيها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١) فقال عمر: انتهينا. فمن ثم اقتضت الحكمة نزول القرآن مفرقاً[١].

من الحكم كذلك: التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والعملية والآداب والأخلاق الفاضلة.

فقد أمر القرآن أولاً بالإيمان بالله وصفاته، وعبادته وحده، حتى إذا ما آمنوا بالله دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر، ثم بالإيمان بالرسل والملائكة حتى إذا ما اطمأنت قلوبهم بالإيمان، وأشربوا حبه، سهل عليهم بعد ذلك تقبل الأوامر، والتشريعات التفصيلية والأحكام العملية والفضائل والآداب العالية، فأمروا بالصلاة والصدق والعفاف، ثم بالزكاة ثم بالصوم، ثم بالحج، كما بينت أحكام النكاح، والطلاق والرجعة والمعاملات من بيع وشراء وتجارة إلى غير ذلك من المعاملات.

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى هذه الحكمة كما

---

(١) المدخل في علوم القرآن ١ / ٦٩ .

في صحيح البخاري[1] قالت عائشة: إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنى أبداً.

وقد دل القرآن بهذه السياسة الحكيمة الرشيدة في إصلاح الشعوب وتهذيب أخلاقها على أنه معجز وأنه كلام الله، فما كان لبشر مهما كان ذكاؤه أن يتوصل إلى هذه الطرق الحكيمة، في الوقت الذي بعث فيه نبينا ﷺ ولكن هذا من صنع العليم الخبير.

٤ - من الحكم كذلك: تثبيت قلوب المؤمنين وتعويدهم الصبر والتحمل بذكر قصص الأنبياء، وما لاقوه وأن العاقبة للمتقين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥) وكقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١-٣).

٥ - التحدي والإعجاز: فالمشركون تمادوا في غيهم وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحدٍّ يمتحنون بها رسول الله

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٥٦، وما بعدها، صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن رقم الحديث ٤٩٩٣.

ﷺ في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب كعلم الساعة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ (الأعراف: ١٨٧). وكقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ (سورة الحج: ٤٧). وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ (الفرقان: ٣٢).

ويشير لهذه الحكمة ما جاء في بعض الروايات من حديث ابن عباس عن نزول القرآن فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس[١].

قال في المدخل[٢]: "فنزوله منجماً مفرقاً من أقوى الأدلة على أنه معجز وأنه كلام الله، إذ لو أنزله الله جملة واحدة لكانت لهم حجة أن يقولوا: شيء نزل علينا مرة واحدة، فلو نزل علينا مفرقاً لعارضناه، فقطع الله عليهم تلك الحجة فكأنه يقول لهم: إن كنتم تقولون إنه ليس كلام الله، فأتوا بسورة مثله أو بعشر سور، أو آية، فسجل عليهم العجز الأبدي".

ومع نزوله مفرقاً على مدى بضع وعشرين سنة كان غاية في روعة

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها.

(٢) ١/٧٥، الإتقان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها، البرهان في علوم القرآن، مباحث في علوم القرآن، وغير هذه من الكتب التي تتعلق بعلوم القرآن: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٥٣ – ٦٠.

الأسلوب ورصانة الألفاظ، لاتفاوت فيه، فكان بذلك معجزاً.

٦- من الحكم كذلك: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل مفرقاً على مدى عشرين سنة حسب الوقائع والأحداث، ومع طول هذه الفترة، كانت تنزل منه الآية والآيات الكثيرة، والآيات القليلة على اختلاف الموضوعات ومع ذلك كان أسلوبه أسلوباً واحداً لم يتغير في فصاحته وجزالته وقوته، فأسلوبه واحد، مترابط بعضه ببعض، لا انفكاك فيه متناسق الآيات والسور كأنه عقد واحد: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: ١) فلو كان من كلام البشر وقد قيل في مناسبات كثيرة، وموضوعات مختلفة متباينة، لوقع فيه التفكك والانفصام، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

هذا والحكم التي أخذت من نزول القرآن مفرقاً منجماً كثيرة لا تكاد تحصر، وقد نثرها علماء هذا الفن في كتبهم وقد لخصنا منها ما ذكرنا تلخيصاً، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا في الدين وأن يجنبنا الزيغ.

الكلام في نزول القرآن على سبعة أحرف

بما أن هذا الموضوع من أخصّ موضوعات نزول القرآن لابد من التطرق إليه على انفراد بإيجاز، مع العلم أن الموضوع تكلم فيه العلماء قديماً وحديثاً وأكثروا فيه الأقوال، ولاسيما المعنى المراد بكونه نزل على سبعة أحرف، وأنا أتناوله حسب المحاور التالية:

المحور الأول: النصوص الدالة على نزوله على سبعة أحرف:

اعلم أيها القارئ الكريم أن حديث: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" جاء عن كثير من الصحابة حتى ذكر بعض العلماء عنه التواتر، وممن قال بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكر السيوطي في الإتقان أنه جاء عن واحد وعشرين من الصحابة[١].

منهم على سبيل المثال: أُبيّ بن كعب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر ابن الخطاب، وغير هؤلاء. وأخرج الحافظ أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر: "أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف"[٢] لما قام فقاموا حتى لم يحصوا

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/٤٥ .

(٢) البخاري رقم ٢٤١٩، مسلم رقم ٨١٨ .

فشهدوا بذلك فقال: وأنا أشهد معهم، قال في المدخل: "وهذا يدل على أن الحديث كان معروفاً مشهوراً غاية الشهرة في زمن الصحابة، ولكن هل نقله عنهم في كل طبقة جماعة كثيرون ممن يثبت بهم التواتر؟ قال: هذا ما يحتاج إلى إثبات وإلا فغاية أمره أنه مشهور من الأحاديث الدالة على نزول القرآن على سبعة أحرف".

١ - ما جاء في الصحيحين بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[١].

٢ - وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن ابن شهاب الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن عبدالقاريِّ أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره[٢] في الصلاة، فصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: مَن أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ قلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت

---

(١) فتح الباري ٩/١٩، وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٠١.

(٢) أمسك به.

هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ : "أرسله، اقرأ ياهشام" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ : "كذلك أنزلت"، ثم قال: "اقرأ ياعمر" فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ : "كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"(١).

٣ - روى مسلم في صحيحه(٢) بسنده عن أبيّ بن كعب "أن النبي ﷺ كان عند أضاة(٣) بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق، ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأي حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا".

٤ - روى مسلم(٤) بسنده عن أبيّ بن كعب قال: "كنت في

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٩/ ١٩ - ٢٠، مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

(٢) (١/ ٥٦٢ - ٥٦٣) ح رقم ٨٢١ .

(٣) أضاة بفتح الهمزة وبضاد معجمة المستنقع كالغدير وجمعه أضاء كحصاة وحصاء وكانت بموضع من المدينة ينسب إلى بني غفار لكونهم نزلوا عنده، والحديث أخرجه مسلم رقم ٨٢١ .

(٤) مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

المسجد، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فقال لي: "يا أبيّ أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هَوِّن على أمتي، فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ".

٥ – وروى أحمد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه" إسناده حسن[١].

هذا: والأحاديث في إثبات نزول القرآن على سبعة أحرف كثيرة مستفيضة، ذكر معظمها ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره[٢].

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢١.

(٢) ١/ ٢٢ – ٦٧.

المحور الثاني: ممايستخلص من الروايات الأمور التالية:

١ – لو نزل القرآن على حرف واحد لشق ذلك على الأمة العربية؛ فقد كانت متعددة اللغات واللهجات، وما يسهل النطق به على البعض لا يسهل على البعض الآخر، وكانت تغلب عليها الأمية فلا عجب أن حرص النبي ﷺ على الاستزادة من الحروف حيث بلغت سبعة أحرف.

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن أنزل القرآن على سبعة أحرف رفعاً للحرج، وتيسيراً لقراءته وحفظه.

٢ – إن هذه التوسعة إنما كانت في الألفاظ، ولم تكن في المعاني والأحكام، وأنها كانت في المعنى الواحد تقرأ بألفاظ مختلفة بدليل أن النبي ﷺ أقرّ كلاً من المختلفين على قراءته.

٣ – إن هذه التوسعة والإباحة في القراءة بأي حرف من الحروف السبعة إنما كانت في حدود ما نزل به جبريل وما سمعوه من النبي ﷺ وذلك بدليل أن كلاً من المختلفين كان يقول: أقرأنيها رسول الله ﷺ وأن النبي ﷺ كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله: هكذا أنزلت كما في حديث عمر وهشام.

ولا يتوهم أي إنسان أن التوسعة كانت باتباع الهوى، فذلك ما لا يليق أن يفهمه مسلم عاقل؛ إذ الروايات الواردة ترده وتبطله، ولو كان لكل أحدٍ أن يقرأ بما يسهل له من غير تلق وسماع من النبي ﷺ

وأن يبدل ذلك من تلقاء نفسه لذهب إعجاز القرآن، ولكان عرضة أن يبدله كل من أراد، ولما تحقق وعد الله سبحانه بحفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ وكيف يتفق هذا الوهم الباطل مع قول الله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يونس: ١٥-١٦).

٤ - أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف منها من غير إلزام بواحد منها، فمن قرأ بأي حرف منها فقد أصاب، بدليل قوله ﷺ في حديث عمر: "فاقرأوا ما تيسر منه"[(١)].

٥ - أن التوسعة على الأمة لم تكن في مبدأ الدعوة فحسب بل كانت بعد الهجرة وبعد أن دخل في الإسلام كثير من القبائل غير قريش فكانت الحاجة ماسة إلى هذا التسهيل وتلك التوسعة، يشهد لهذا حديث مسلم أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار وقد تقدم.

٦ - هذه التوسعة مظهر من مظاهر الرحمة والنعمة ولا ينبغي أن تكون مصدر اختلاف أو أن تكون مثيرة للشك، أو مضعفة لليقين، فقد حذرهم الرسول صلوات الله عليه من الاختلاف، كما في حديث ابن مسعود، ومن الشك في القرآن كما في حديث عمرو بن العاص:

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٣ .

"فلا تماروا فيه" وفي رواية لابن جرير الطبري من حديث أبي جهم: "فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر"(١).

٧ – حرص الصحابة رضوان الله عليهم البالغ على القرآن وغاية تحوطهم في المحافظة عليه، ونفي الريب والتغيير والتبديل عنه، ويدل على هذا ما كان من الفاروق عمر رضي الله عنه مع هشام بن حكيم حتى همّ أن يأخذ بتلابيبه وهو في الصلاة.

المحور الثالث: المراد بمعنى الأحرف السبعة:

اعلم أنه اختلف في ذلك اختلافاً كثيراً حتى أوصل السيوطي الأقوال في معناها إلى نحو أربعين قولاً(٢).

وأنا أذكر بعضها فقط، ملخصاً ذلك من كتب الفن:

١ – القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر.

٢ – القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١ / ٤٤ .

(٢) الإتقان ١ / ٤٥ .

العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم.

٣- القول الثالث: أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة من الأمر والنهي والوعد والوعيد، والجدل والقصص، والمثل، أو من الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال"(١).

٤ - القول الرابع: أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهي:

(١) اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعهما، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨) قرئ لأماناتهم بالجمع، وقرئ لأمانتهم بالإفراد، ورسمها في المصحف ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ يحتمل القراءتين لخلوها من الألف الساكنة، ومآل الوجهين في المعنى واحد فيراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية، ويراد بالإفراد الجنس الدال على معنى الكثرة، أي جنس الأمانة(٢).

(٢) اختلاف في وجوه الإعراب، كقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي، وابن جرير ١/ ٦٩ بمعناه.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١/ ١٤٠ .

(يوسف : ٣١) . قرأ الجمهور بالنصب على أن "ما" عاملة عمل ليس وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن، وقرأ ابن مسعود (ما هذا بشر) بالرفع على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون "ما" عمل ليس.

(٣) الاختلاف في التصريف: كقوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ (سبأ: ١٩) قرئ بنصب "ربنا" على أنه منادى مضاف "وباعد" بصيغة الأمر وقرئ ربنا بالرفع، "وباعد" بفتح العين على أنه فعل ماض.

(٤) الاختلاف بالتقديم والتأخير: إما في الحرف كقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾ (الرعد: ٣١). وقرئ (أفلم يأيس) و إما في الكلمة كقوله تعالى: ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ (التوبة: ١١١). بالبناء للفاعل في الأول وللمفعول في الثاني.

(٥) الاختلاف بالإبدال: سواء كان إبدال حرف بحرف كقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩). قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون، أو إبدال لفظ بلفظ كقوله تعالى: ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ (القارعة: ٥) قرأ ابن مسعود وغيره (كالصوف المنفوش).

(٦) الاختلاف بالزيادة والنقص: فالزيادة كقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (التوبة: ١٠٠) قرئ (من تحتها الأنهار) بزيادة من، وهما قراءتان متواترتان، والنقصان كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ (البقرة: ١١٦). بدون واو وقراءة الجمهور ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ بالواو.

(٧) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل، والإتمام ونحو ذلك.

كالإمالة وعدمها في مثل قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ (طه: ٩). قرئ بإمالة "أتى" "موسى" وترقيق الراء في قوله: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ وتفخيم اللام في الطلاق، وتسهيل الهمزة في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وإشمام الغين ضمة مع الكسر في قوله: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ (هود: ٤٤).

٥ – القول الخامس: ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد، فلفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة والكمال في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئات، ولا يراد العدد المعين[١].

٦– القول السادس: أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع.

وهناك أقوال كثيرة وقد رجح كثير من العلماء القول الأول في أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، ممن رجح هذا القول كبير المفسرين ابن جرير الطبري[٢] وإليه ذهب سفيان بن عيينة، وابن وهب وخلائق، ونسبه ابن عبدالبر لأكثر العلماء[٣].

---

(١) الإتقان ١ / ٤٥ .

(٢) ١ / ١٥ .

(٣) مباحث في علوم القرآن ١ / ١٦٢ .

واعلم أن أسباب النزول من مقتضيات نزول القرآن الكريم ولذلك لابد من الكلام عليها كلاماً غير مطول لأنها تحتاج إلى بحث مستقل فنتناولها من النواحي التالية:

تعريف سبب النزول، العبارات التي تعد نصاً في سبب النزول، اعتناء الصحابة بمعرفة أسباب النزول.

فوائد أسباب النزول، هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ كذلك يلزم على معرفة نزول القرآن، الكلام على جمعه والاعتناء بحفظه والكلام على تواتره وشروط القراءة الصحيحة.

تعريف المكي والمدني والكلام عليه كلاماً موجزاً من مظاهر العناية بالقرآن الكريم ونزوله والعناية بكتابته ورسمه.

الكلام على أسباب النزول

إن القرآن الكريم نزل لهداية البشر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم في العقائد والأحكام ومكارم الأخلاق، وأكثر القرآن نزل إلى هذه الأغراض النبيلة من غير سبب، وبعضه نزل مرتبطاً بأسباب خاصة.

فالصحابة رضي الله عنهم الذين عاشروا رسول الله ﷺ وعاشوا معه حياتهم قد تقع منهم حادثة تحتاج إلى بيان حكم الله فيها، وقد يسألون عن أشياء فينزل القرآن لذلك.

فسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متحدثة عنه مبينة حكمه والمعنى أن حادثة وقعت أو سؤالاً وجه إلى النبي ﷺ فنزل الوحي ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، مثل حادثة خولة التي ظاهر منها زوجها فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة: ١). واعلم أنه لا طريق لمعرفة سبب النزول إلا بالنقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم. قال الواحدي في أسباب النزول: "لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب".

فالمعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة، ومن أخذ عنهم من التابعين، ومعرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تختص بالقضايا، وكثيراً مايجزم بعضهم بالسبب وربما لم يجزم بعضهم

بالسبب، فيقول: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، كما قال الزبير في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة النساء: ٦٥)، روى الشيخان في صحيحيهما[١] عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون منها النخل، فقال الأنصاري سرح الماء يمر، فأبى عليه فاختصما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك"، فغضب الأنصاري ثم قال: يا رسول الله ﷺ أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير: "يا زبير احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر" فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك. ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد أشار على الزبير رأياً[٢].

وقول الصحابة في سبب النزول محمول على الرفع كما نص على ذلك أئمة المصطلح لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه، وبعيد كل البعد أن يقول الصحابي ذلك من تلقاء نفسه فعدالته تمنعه من ذلك، فذلك محمول على السماع أو المشاهدة.

أما قول التابعي في سبب النزول فله حكم الرفع إلا أنه مرسل، قد

(١) البخاري رقم ٢٣٦١ في كتاب المساقاة، مسلم برقم ٢٣٥٧. في كتاب الفضائل.

(٢) وانظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة النساء رقم ٤٥٨٥، أسباب النزول للسيوطي ١/ ١٥.

يقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

واعلم أيها القارئ الكريم أن الصحابة كانوا علماء مجتهدين في معرفة سبب النزول، ولذلك جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو كنت أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[١].

---

(١) البخاري رقم ٥٠٠٢ في كتاب فضائل القرآن.

بعض فوائد أسباب النزول باختصار

(١) الاستعانة على فهم الآية وإزالة الإشكال عنها: قال الواحدي: "لا يمكن معرفة الآية دون الوقوف على قصتها" . وقال ابن دقيق العيد : "معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن" . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته أصول التفسير[١]: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث معرفة المسبب" ولذلك أمثلة كثيرة منها:

أ - أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أشكل عليه فرضية السعي بين الصفا والمروة من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: ١٥٨) فقال: إن الله نفى الجناح ونفي الجناح يدل على نفي الوجوب فسأل خالته عائشة رضي الله عنها، فقالت له: "إن سبب النزول أنه كان قبل الإسلام على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة، فلما جاء الإسلام تحرج المسلمون من السعي بينهما فأنزل الله الآية رفعاً للحرج"[٢].

ب - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ (الطلاق: ٤) فقد أشكل معنى هذا الشرط

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١ /١٧ ، أصول التفسير ١ /٥٩ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣ /٣٩٢ .

على بعض الأئمة حتى نقل عن الظاهرية أن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتَب، وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول، وذلك أنه لما نزلت الآية التي في البقرة في عدد النساء قال الناس: بقي عدد من النساء لم تذكر عدتها، فحينئذ أنزل الله الآية فعلم منها أن حكم عدة اليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر، إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم عدتهن(١).

ج - قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ١١٥) فلو تركت على ظاهرها لفهم منها أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، فلما علم أنها نازلة في صلاة النافلة، أو فيمن عميت عليه القبلة فصلى باجتهاده وبان له الخطأ بعد ذلك زال الإشكال عنه.

د - ومن ذلك ما روي في الصحيح عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٨) قال مروان: لئن كان كل أحد فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون، حتى سأل ابن عباس عن ذلك، فقال له ابن عباس: إن هذه الآية نزلت في اليهود سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأروه أنهم أجابوه واستحمدوه لذلك(٢).

---

(١) المدخل في علوم القرآن ١/١٣٨، الإتقان في علوم القرآن ١/٤٥ فما بعدها، مباحث في علوم القرآن ١/٧٩ فما بعدها.

(٢) صحيح البخاري ٨/٢٣٣ مع الفتح.

(٢) من الفوائد دفع توهم الحصر: قال الشافعي في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا . . .﴾ الآية (المائدة: ١٤٥) قال: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه، نازلا منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلوى فتقول له: لا آكل اليوم إلا حلوى، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل[1].

واعلم أيها القارئ الكريم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا إذا كان السبب خاصاً واللفظ عاماً، فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها كآيات اللعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ . . . إلى قوله: إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ . . .﴾ (سورة النور: ٦-٩). فيتناول الحكم المأخوذ من هذا اللفظ العام ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ غير حادثة هلال دون احتياج إلى دليل، هذا هو الرأي الراجح والأصح وهو الذي يتفق مع عموم أحكام الشريعة والذي سار عليه الصحابة والمجتهدون من

---

(١) الإتقان ١/٢٥ وما بعدها، المدخل ١/١٣٠، مباحث في علوم القرآن ١/٧٩، وما بعدها.

هذه الأمة[1].

أما صيغة سبب النزول: فتارة تكون نصاً في سبب النزول، وتارة تكون محتملة؛ فتكون نصاً في سبب النزول فيما إذا قال الراوي سبب نزول هذه الآية كذا، أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال، كما إذا قال: "حدث كذا" أو سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت الآية، فهاتان صيغتان صريحتان في السببية وتكون الصيغة محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي: نزلت هذه الآية في كذا، فذلك يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أنه داخل في معنى الآية[2].

هذا: وقد يتعدد السبب والمنزل واحد، وذكر العلماء لذلك أربع حالات:

١- إما أن تكون إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعول عليه ماصحت روايته.

٢- أن تكون كلتا الروايتين صحيحة، ولأحدهما مرجح.

٣- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح، وقد يمكن نزول الآية عقبهما.

٤- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح ولا يمكن

---

(١) مباحث في علوم القرآن ١ / ٨٤، مذكرة الأصول ١ / ٣٧٢ ، الشيخ محمد الأمين.

(٢) أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٥٩ – ٦١ .

نزول الآية عقبهما.

(١) مثال الحالة الأولى: أن تكون إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعتمد في السبب الصحيحة: أنه ﷺ اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءت امرأة فقالت: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[١] مع ما أخرجه الطبراني وابن أبي شيبة والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميرة عن أمه عن أمها، وكانت خادمة رسول الله ﷺ أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير ومات فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟ فقلت في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ فالمعتمد الرواية الأولى لأنها صحيحة أما الثانية وإن كانت مشهورة لكنها غير صحيحة لوجود الجهالة في سندها.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[٢]: "قصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح".

---

(١) البخاري رقم ٤٩٥٠، مسلم برقم ١٧٩٧ الجهاد.

(٢) فتح الباري ٨ / ٥٨٠ .

(٢) مثال الحالة الثانية: و هي أن تكون كلتا الروايتين صحيحة ولأحدهما مرجح: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ثم قال: ﴿ ... قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥)[١].

مع ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل يريدون النبي ﷺ[٢].

فالأولى تدل على أن السائل اليهود، وأن نزولها بالمدينة، والثانية تدل على أن السائل الكفار وأنها نزلت بمكة، والرواية الأولى أرجح لأمرين:

أ - أنها من رواية البخاري.

ب - أن الراوي في الأولى وهو ابن مسعود حاضر للقصة ومشاهد لها، بينما ابن عباس الذي هو الراوي في الثانية لم يثبت أنه كان مشاهداً لها[٣].

(٣) مثال الحالة الثالثة: وهي أن تكون كل من الروايتين صحيحة، ولا يمكن الترجيح لكن يمكن نزول الآيتين عقب السببين

---

(١) البخاري برقم ١٢٥ في كتاب العلم، ومسلم برقم ٢٧٩٤ في صفة القيام.

(٢) الإتقان ١ / ٣٣ .

(٣) مسلم بشرح النووي ١٠ / ٢١٢٠ .

لعدم العلم بالتباعد : ما أخرجه البخاري[1] من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ : "البينة أو حد في ظهرك" . فقال : يا رسول الله إذا وجد أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول : "البينة وإلا حدّ في ظهرك" فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فأنزل الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ... ﴾ الآية . وأخرج البخاري[2] عن سهل بن سعد : أن عويمراً العجلاني هو الذي سأل النبي ﷺ عن ذلك، وأن الآية نزلت فيه .

فهاتان الروايتان صحيحتان : ويمكن الجمع بينهما بأن أول من سأل هلال ثم سأل عويمر قبل الإجابة ثم نزلت الآيات[3] .

(٤) مثال الحالة الرابعة : التي هي استواء الروايتين أو الروايات في الصحة، ولا مرجح مع عدم إمكان نزول الآية عقبها لتباعد الزمان فالحكم أن يحمل الأمر على تكرر النزول . مثال ذلك : ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال : "لأمثلن بسبعين منهم مكانك" فنزل جبريل

(١) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٧) .

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٥) .

(٣) انظر : فتح الباري (٨ / ٣٠٤ – ٣٠٥) .

بقـولـه: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ... ﴾ (النحل: ١٢٦) مـع مـا أخـرج الترمذي والحاكم عن أبيّ بن كعب قـال: لما كان يوم أحـد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هـذا لنربين عليهم. فلمـا كـان يوم فتح مكة أنزل الله سبحانه: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ ... ﴾ الآية. قال في المدخل: "فالأولى تفيد أن الآيات نزلت عقب أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم الفتح، وبين الفتح وأحد حوالي خمس سنين". إلى أن قال: "فلا مناص من القول بتعدد النزول مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح"[١].

---

(١) المدخل في علوم القرآن ١/١٣٨، مباحث في علوم القرآن ١/٨٧-٩٠، مناهل العرفان ١/١٠٦ فما بعدها.

أول ما نزل من القرآن و آخر ما نزل منه

اعلم أيها القارئ الكريم أن المتكلم في موضوع نزول القرآن لابد أن يتكلم على أول ما نزل وآخر ما نزل لتعلق هذا الموضوع بالنزول، وعليه فإن العلماء بحثوا هذا الموضوع بحثاً واسعاً لأهميته وأنا أتكلم فيه من النواحي التالية:

١ – أول ما نزل مطلقاً.
٢ – آخر ما نزل مطلقاً.
٣ – أوائل مقيدة.
٤ – أواخر مقيدة.
٥ – بعض فوائد هذا النوع.

أول ما نزل من القرآن مطلقاً

ذكر العلماء في ذلك أربعة أقوال:

(١) أول ما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١–٥).

من الأدلة على هذا القول:

أ – ما رواه البخاري ومسلم[1] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في

---

(١) البخاري ١/٣، ومسلم ١/٩٨، البرهان ٢٩٣–٣٠٠، والإتقان ١/٦٨–٧٦، ٧٧، ٨١، وورد في مسند أحمد ٦/٢٣٢–٢٣٣، أسباب النزول للواحدي ١/٤٨ .

النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: "اقرأ" قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق" إلخ.

ب - روى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائل النبوة وصححاه عن عائشة أنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ ومرادها بالسورة صدرها[1].

(٢) القول الثاني: أن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ... إلى قوله... وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ (المدثر: ١-٥) وهذا القول مروي عن جابر بن عبدالله وأبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف ومن الأدلة على هذا القول: ما رواه الشيخان -واللفظ للبخاري- عن يحيى بن أبي كثير: قال سألت أبا سلمة ابن عبدالرحمن أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فقلت أنبئت أنه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فقلت نبئت أنه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ فقال: "لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٦٨.

ﷺ: جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو -يعني جبريل- بين السماء والأرض فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فقلت "دثروني" فأنزل الله يأيها المدثر"[1].

وأجاب أهل القول الأول عن هذا بأجوبة أحسنها: أن ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أول ما نزل بعد فترة الوحي، أما اقرأ فهي أول ما نزل على الإطلاق[2].

(٣) القول الثالث: أن أول ما نزل سورة الفاتحة، وقد عزا هذا القول الزمخشري في كشافه[3] إلى أكثر المفسرين، ورد عليه الحافظ ابن حجر[4] بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل. من أدلة هذا القول: ما رواه البيهقي في دلائل النبوة والواحدي بسنده عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: "إني إذا خلوت[5] وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً" فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك؛ فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة

---

(١) البخاري ١ /٣ ومسلم ١٢ /٩٩ .

(٢) الإتقان ١ /٦٨، المدخل ١ /١٠٤ .

(٣) مستدرك الحاكم ٢ /٢٤٠ رقم ٢٨٧٣ .

(٤) فتح الباري ٨ /٥٥٠ -٥٥١ .

(٥) القرطبي ١ /١١٥ ، وعزاه للبيهقي في الدلائل.

حديثه له وقالت: اذهب مع محمّد إلى ورقة بن نوفل فانطلقا فقصا عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء من خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً في الأفق فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه: يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال العلماء[1]: والجواب عن هذا الحديث أنه مرسل لا يعارض القول الأول.

(٤) القول الرابع: إن أول ما نزل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ دليل هذا القول ما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القرآن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وأول سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ قال السيوطي: وعندي أن هذا القول لا يعد قولاً برأسه فإن من ضرورة نزول السورة نزول البسملة.

واعلم أن هذه الآثار والأحاديث لا تنهض لمعارضة حديث عائشة الذي هو في الصحيح الدال على أن أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

آخر ما نزل من القرآن مطلقاً

اعلم أيها القارئ الكريم أنه ليس في هذا الموضوع أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ يمكن التحاكم إليها، وكل ما فيه آثار مروية عن بعض الصحابة والتابعين استنتجوها من مشاهداتهم للنزول، وملابسات الأحوال، فقد

---

(١) الإتقان ١ / ٦٩ ، المدخل ١ / ١٠٤ .

يسمع أحدهم ما لا يسمع الآخر، ويرى ما لا يراه غيره، ومن هنا كثر الاختلاف في هذا الموضوع ولنكتفِ بالبعض فقط على النحو التالي:

(١) القول الأول: أن آخر ما نزل قوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨١).

من الأدلة على هذا القول:

ما رواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية وروى ابن مردويه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول.

وذكر البغوي في تفسيره[١] عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ فقال جبريل: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً.

وروى الألوسي في تفسيره[٢] عند هذه الآية أنه قال: -يعني رسول الله ﷺ-: "اجعلوها بين آية الربا وآية الدين".

---

(١) البغوي ١/٣٤٧، المدخل ١/١٠٧، الإتقان ١/٧٧، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/٢٠٥، البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن.

(٢) الألوسي ١/ المجلد الأول ج ٢/٥٥.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: "جاءني جبريل فقال اجعلوها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة".

قال في المدخل[1]: "وهذا الرأي هو أرجح الآراء والأقوال وهو الذي تركن إليه النفس للأسباب التالية:

١ - لم يحظ قول من الأقوال الآتية بما حظي به هذا القول من الآثار وأقوال الأئمة.

٢ - ما تشير به هذه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر والرجوع إلى الله ليوفي كلاً جزاء عمله، وهو أنسب بالختام.

٣ - ما ظفر به هذا القول من تحديد الوقت بين نزولها ووفاة النبي ﷺ ولم يظفر قول بهذا التحديد".

(٢) القول الثاني: أن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨).

ويدل لهذا القول ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: وآخر آية نزلت آية الربا[2].

والحق الأول: ويجاب عن هذا القول إما بأنها آخر آية نزلت في شأن الربا، وإما أنها من آخر الآيات نزولاً.

(٣) القول الثالث: أن آخر آية نزلت آية الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا

---

(١) ١/١١.

(٢) البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن.

تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) وهي أطول آية في القرآن . ومن أدلة هذا القول ما أخرجه ابن جرير[١] من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين، مرسل صحيح الإسناد . ويجاب عنه بأنها آخرية مقيدة، فهي آخر ما نزل في باب المعاملات .

هذا : وقد جمع السيوطي في الإتقان بين هذه الأقوال الثلاثة فقال : "ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، وآية واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، وآية الدين؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأن موضوعها واحد، فأخبر كل واحد عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح" .

وقد جمع الحافظ بين القولين بأن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن، كما رجح أن آية "واتقوا يوما . . ." هي الأليق بالختام .

(٤) القول الرابع : آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ . . . ﴾ (النساء : ١٧٦) وآخر ما نزل من السور براءة، ويدل على هذا ما رواه البخاري ومسلم[٢] عن البراء بن عازب أنه قال : آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ (النساء : ١٧٦) .

---

(١) ابن جرير الطبري في تفسيره .

(٢) البخاري ٤٣٦٤ المغازي، مسلم ١٦١٨ الفرائض، أحمد ٨١٦٤ .

يجاب عن هذا بأن سورة براءة آخر ما نزل في شأن القتال والجهاد.

(٥) القول الخامس: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣) ويدل لهذا القول ما رواه البخاري[١] عن سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾، هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء. والجواب أنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمداً، فهي آخرية مقيدة.

(٦) القول السادس: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (براءة: ١٢٨). إلى آخر سورة براءة. من الأدلة على هذا القول ما رواه الحاكم في المستدرك عن أبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة[٢].

قال في الإتقان "وروى ابن مردويه عن أبيّ أيضاً قال: آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾". ويجاب عنه أنهما آخر ما نزل من سورة براءة.

(٧) القول السابع: آخر ما نزل سورة المائدة من الأدلة على هذا

---

(١) البخاري رقم ٤٥٩٠ تفسير القرآن، مسلم رقم ٣٠٢٣ التفسير.

(٢) المستدرك ٢/٣٣٨، والدر المنثور ٣/٢٩٥.

القول ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: آخر سورة نزلت المائدة[1] فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه.

ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام.

(٨) القول الثامن: آخر سورة نزلت ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ قال في الإتقان رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس، ورواه النسائي أيضاً عنه ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت بتمامها.

قال في المدخل: "وقد عرفت أن القول الأول هو الصحيح الراجح وعرفت الإجابة عما ورد مخالفاً له وأن المراد أواخر مقيدة لا مطلقة"[2].

الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة

هذا البحث كثير، ولهذا يكتفى فيه بذكر نماذج من الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة، حسب ما ذكره العلماء فأقول: أول آية نزلت في الخمر: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾ (البقرة: ٢١٩).

أول ما نزل في الجهاد قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (الحج: ٣٩-٤١).

أول ما نزل في شأن القتل آية الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ

(١) الترمذي رقم ٣٠٦٣ كتاب التفسير.

(٢) المدخل ١/١٢٢، الإتقان ١/٧٧، وما بعدها.

ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾ (الإسراء: ٣٣).

نماذج من الأواخر المقيدة

١ - آخر ما نزل في تحريم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ - إلى قوله - فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

٢ - آخر آية نزلت في شأن القتل: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ (النساء: ٩٣).

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل

اعلم أن هذا المبحث لا مجال للعقل فيه، إلا بالترجيح بين الأدلة وجمع المتعارض إن وجد، والمدار فيه على النقل، ولمعرفته فوائد نلخّص بعضها فيما يلي:

(١) معرفة الناسخ والمنسوخ: فيما إذا وردت آيتان أو أكثر في موضع واحد وحكم إحداهما يغاير الآية الأخرى تغايراً لا يمكن معه الجمع فنلجأ حينئذ إلى معرفة المتقدم فيعلم أنه منسوخ بالمتأخر.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي: وذلك مثل ما إذا عرفنا أن الآيات التي فيها الأمر بالصلاة نزلت بمكة قبل الهجرة، وأن الآيات التي فيها الأمر بالزكاة وبالصوم كانت في السنة الثانية للهجرة بالمدينة المنورة، وأن

آيات الحج نزلت في السنة السادسة على الراجح كان بالإمكان ترتيبها ترتيبا شرعياً فنقول: أول ما فرض الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج.

وكذلك إذا علم أن آية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩) نزلت بالمدينة في السنة الثانية علم أن الجهاد فرض في المدينة في السنة الثالثة وهكذا.

(٣) من الفوائد كذلك: معرفة التدرج في التشريع ويتوصل به إلى معرفة حكمة الله في أخذ الشعوب بهذه السياسة الحكيمة في الإسلام، وذلك مثل ما إذا عرفنا ترتيب الآيات التي نزلت في شأن الخمر، ومثل ما إذا علمنا أن الآيات الداعية إلى أصول العقائد، نزلت أولاً بمكة، بخلاف الآيات النازلة في الأحكام التشريعية التفصيلية والعملية، فإنها نزلت بالمدينة، فإنه ما لم تعرف الأصول ويطمأن إليها، لا يسهل الأخذ بالفروع[1].

(تنبيه)

قال السيوطي: "قد يشكل على ما تقدم في آخر ما نزل مطلقاً قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنه وارد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك. وقد

(١) المدخل ١ /١٠١، الإتقان ١ /٢٧٧، مباحث في علوم القرآن ١ /١٠٠ فما بعدها.

استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأَولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم بالبلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه، حتى حَجَّه المسلمون لا يخالطهم المشركون"[1].

قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

(١) الإتقان ١/٧٧ فما بعدها، والمدخل ١/١٠١ فما بعدها.

الخاتمة

وهي عبارة عن بعض النتائج التي توصل إليها الباحث مع اقتراح يقترحه.

١ – النتيجة الأولى: أن نزول القرآن الكريم من أهم موضوعات علوم القرآن بل كل موضوعاته الأخرى مبنية على نزول القرآن الكريم.

٢ – النتيجة الثانية: أن علوم القرآن الكريم فناً مدوناً مستقلاً بنفسه بهذا اللقب ما كان معروفاً في العصور الأولى.

٣ – النتيجة الثالثة: أن أول ظهور لهذا الفن، مدوناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠هـ في كتابه البرهان في علوم القرآن.

٤ – النتيجة الرابعة: أن العلماء اختلفوا في تعريف القرآن، وأحسن تعاريفه، كما عرفه في المراقي "أنه اللفظ المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بألفاظه ومعانيه".

٥ – النتيجة الخامسة: أن القرآن معجز بلفظه ومعناه، وأن النظّام ومن شايعه القائلين بالصرفة قولهم ضعيف مردود.

٦ – النتيجة السادسة: أن القرآن الكريم أنزل مرتين، مرة جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، ومرة أنزل مفرقاً منجماً على حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة.

٧ – النتيجة السابعة: أن لنزول القرآن الكريم مفرقاً حِكَماً كثيرة

كما ذكر بعضها في ثنايا البحث.

٨ - النتيجة الثامنة: أن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ثابت حيث ورد بروايات صحيحة لا مطعن فيها، وأنه يدل على التيسير بهذه الأمة واللطف بها مع أن معنى الحديث من المشكل المختلف فيه بين العلماء.

٩ - النتيجة التاسعة: أن القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جلياً.

١٠ - النتيجة العاشرة: أن الكتب السماوية غير القرآن الكريم كالتوراة والإنجيل نزلت جملة واحدة، ولم تنزل مفرقة.

١١ - النتيجة الحادية عشرة: أن المعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين، لا غير.

١٢ - النتيجة الثانية عشرة: أن معرفة سبب النزول طريق قوي ومعين على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها وله فوائد جمة.

١٣ - النتيجة الثالثة عشرة: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جماهير العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين.

١٤ - النتيجة الرابعة عشرة: أن أوّل ما نزل من القرآن على النبي ﷺ صدر سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾.

١٥ - النتيجة الخامسة عشرة: أن آخر ما نزل من القرآن الكريم على

النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ ﴾.

أما الاقتراح الذي أقترحه: فهو أن يؤلف المسلمون هيئة عليا من العلماء والقادة، للدفاع عن القرآن الكريم وحقوقه بحيث يكون للهيئة مقر ثابت في إحدى الدول الإسلامية، كالهيئات العالمية الأخرى.

فهرس المصادر والمراجع

١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر:

للدكتور فهد بن سليمان الرومي، (بدون مكان طبع) (١) ١٤٠٧هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن:

لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة ط (٣) ١٤٠٥هـ.

٣- أحكام القرآن:

لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:

لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٥- أسباب النزول:

لأبي حسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تخريج عصام ابن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام ط (٢) ١٤١٢هـ.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) طبع

وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ١٤٠٣هـ.

٧– إعجاز القرآن:

لأبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – القاهرة ط (٥)، ١٤٠١هـ.

٨– البرهان في علوم القرآن:

لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق د/يوسف عبد الرحمن المرعشلي وزميليه، دار المعرفة –بيروت ط (١) ١٤١٠هـ– ومصوّرة دار المعرفة – بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بدون تاريخ).

٩– التبيان في آداب حملة القرآن:

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مطبوعات جمعية القرآن الكريم – جدة ط (٢)، ١٤٠٨هـ.

١٠– تفسير التحرير والتنوير:

لمحمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، دار التونسية – تونس ١٤٠٤هـ.

١١– تفسير القرآن العظيم:

لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، نشر:

مكتبة المعارف – الرياض ط (١) ١٤٠٦هـ.

١٢– التفسير والمفسرون :

للدكتور محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٧هـ)، دار الكتب الحديثة – القاهرة، ط (٢) ١٣٩٦هـ.

١٣– تناسق الدرر في تناسب السور :

لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ) تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١) ١٤٠٦هـ.

١٤– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت : ١٣٧٦هـ) مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة ط (١) ١٤٠٧هـ.

١٥– جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي – القاهرة ط (٣) ١٣٨٨هـ.

١٦– جامع الترمذي :

لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ط (٢) ١٣٩٨هـ.

١٧– الجامع لأحكام القرآن :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت (بدون تاريخ) .

١٨- حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية:
للدكتور عبد العزيز القارئ، دار النشر الدولي - الرياض ط (١)، ١٤١٢هـ.
١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور:
لأبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الفكر - بيروت ط (١) ١٤٠٣هـ.
٢٠- دلائل النبوة:
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ط (١)، ١٤٠٥هـ.
٢١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني:
لأبي الثناء محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).
٢٢- روضة الناظر وجنة المناظر:
لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.
٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة:
لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٤- سنن أبي داود:
لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط (١)، ١٣٨٨هـ.
٢٥- صحيح البخاري:
لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ضبط وترقيم وعناية: د. مصطفى البُغا، دار القلم -دمشق- بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.
٢٦- صحيح مسلم:
لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).
٢٧- صحيح مسلم شرح النووي:
لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ).
٢٨- طبقات المفسرين:
لأبي الفضل عبدالرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة - القاهرة ط (١) ١٣٩٦هـ.

٢٩- طيبة النشر في القراءات العشر:
لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) مراجعة وتحقيق: علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، ط (١) ١٣٦٩هـ.
٣٠- علوم القرآن:
للدكتور عدنان زرزور، المكتب الإسلامي - بيروت، ط (٢) ١٤٠٤هـ.
٣١- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة:
للدكتور حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان - المدينة ط (١) ١٤٢٠هـ.
٣٢- غاية المنتهى في طبقات القراء:
لأبي الخير محمد بن محمد الجزري (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره: ج. برجستراسر دار الكتب العلمية - بيروت ط (٣) ١٤٠٢هـ.
٣٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري:
لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان - القاهرة، ط (١) ١٤٠٧هـ.
٣٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:
لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

٣٥- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن:
لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: د/ حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط (١) ١٤٠٨هـ.

٣٦- القاموس المحيط:
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) ١٤٠٧هـ.

٣٧- قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار: (خ)
للَّمطي عبد العزيز بن عبد العزيز الفاسي (ت: نحو ٨٨٠هـ).

٣٨- الكشاف عن حقائق التنزيل:
لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) مكتبة المعارف - الرياض (بدون تاريخ).

٣٩- لباب النقول في أسباب النزول:
لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار إحياء العلوم - بيروت ط (٤) ١٤٠٦هـ.

٤٠- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير:
د/ محمد الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت (بدون تاريخ).

٤١- مباحث في علوم القرآن:
للدكتور صبحي الصالح (ت: ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط (١٦) ١٤٠٥هـ.

٤٢- مباحث في علوم القرآن:
لمناع خليل القطّان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢١) ١٤٠٧هـ.

٤٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:
جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، توزيع رئاسة شؤون الحرمين - مكة المكرمة، مصورة عن الطبعة الأولى / ١٣٩٨هـ.

٤٤- محاسن التأويل:
لمحمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت ط (٢) ١٣٩٨هـ.

٤٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:
لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ)، تحقيق: المجلس العلمي بفاس عام ١٤١٣هـ.

٤٦- مختار الصحاح:
لأبي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: بعد ٦٦٠هـ) مكتبة لبنان - بيروت، ١٤٠٩هـ.

٤٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم:
د/محمد بن محمد أبو شهبة (ت: ١٤٠٣هـ) مكتبة السنة - القاهرة ط (١) ١٤١٢هـ.

٤٨- مذكرة أصول الفقه:

لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) دار القلم - بيروت (بدون تاريخ).

٤٩- مراقي السعود:

لسيدي عبد الرحمن بن حاج إبراهيم (ت: ١٢٣٣هـ) طبعة فضالة - المغرب.

٥٠- المستدرك على الصحيحين:

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، توزيع مكتبة الباز - مكة المكرمة ط (١) ١٤١١هـ.

٥١- مسند الإمام أحمد:

لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) دار صادر - بيروت (بدون تاريخ).

٥٢- معالم التنزيل:

لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر وزميليه، دار طيبة - الرياض ١٤٠٩هـ.

٥٣- مفردات ألفاظ القرآن:

لأبي القاسم الحسين بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: في حدود ٤٢٥هـ) تحقيق: صفوان عدنان داودي. دار القلم - دمشق ط (١) ١٤١٢هـ.

٥٤- مقدمة في أصول التفسير:
لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د/عدنان زرزور، دار القرآن الكريم - بيروت ط (٣)، ١٣٩٩هـ.

٥٥- مناهل العرفان في علوم القرآن:
لمحمد عبدالعظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٥٦- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع:
لإبراهيم المارغني (ت: ١٣٤٩هـ). (بدون تاريخ).

٥٧- النكت والعيون: تفسير الماوردي:
لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: خضر محمد خضر، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية ط (١) ١٤٠٢هـ.

الفهرس